بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

ظلم النفس والغفلة عن الله تعالى

(039) سورة الزمر

اللقاء التاسع من تفسير سورة الزمر - شرح الآيات 45-52

2022-06-18

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يارب العالمين، وبعد مع اللقاء التاسع من لقاءات سورة الزمر ومع الآية الخامسة والأربعين، وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ(45)

(سورة الزمر)

سورة الزمر هي سورة التوحيد:

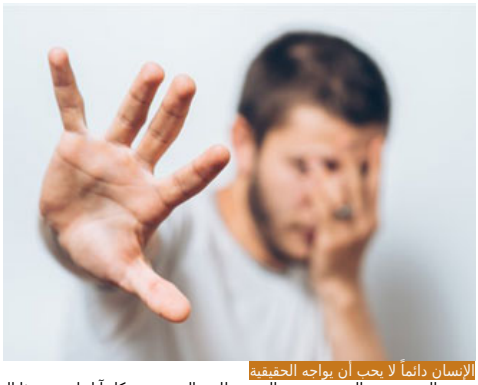

الإنسان دائماً لا يحب أن يواجه الحقيقة

سورة الزمر سورة التوحيد، تجريد العبودية لله تعالى وحده، وكل آياتها تخدم هذا الهدف الكلي للسورة، كل سورة في القرآن لها وحدة موضوعية، لها موضوع، والآيات كلها تسير في هذا النسق لخدمة الموضوع، هذه الآية واضحة وجلية في علاقتها بموضوع السورة تتحدث عن التوحيد بشكل مباشر **(وإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ)** اشمأزّت بمعنى نفرت، الانقباض النفور، ضد الاستبشار، الاشمئزاز ضده الاستبشار، **(ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ)** لماذا اشمأزت قلوبهم؟ سؤال منطقي، لأن الإنسان دائماً لا يحب أن يواجه الحقيقية، ولا يحب أن يواجه مصيره، ولا يحب أن يواجه الشيء الذي يكذّب به وهو حق، ويعلم بفطرته أنه حق، لا يحبُّ ذلك.

مثلاً: طالب عنده امتحان مصيري، وهو مُعرِض عن الدراسة، ذهب مع أصدقائه في نزهة وجالسون في مجلس ومستمتعون بالطعام الطيب، والمناظر الجميلة، أحدهم أحب أن ينغّص عليه سروره، فقال له الامتحان المهم كم يوماً بقي له؟ فيشمئز، وينقبض، ويقول له: لماذا ذكرتني؟ دعنا مسرورين يا رجل، مع أنه ذكّره بشيء مهم، وبحقيقة لكنه لا يريد أن يتذكر الشيء الذي يقضُّ مضجعه، يريد أن يبقى سادراً في شهواته، وهذا عُمق أن يهرب الإنسان من مواجهة الحقيقة، لديك امتحان وأنت تلعب وتلهو جاء من يذكرك به فانزعجت من تذكيره!

فهؤلاء لما أعرضوا عن الله عز وجل، وانغمسوا بشهواتهم، إذا ذكر الله وحده أمامهم وفطرتهم تقول لهم: إن الله واحد لا شريك له، وأن ما تعبدون من دونه لا يملكون لكم ضراً ولا نفعاً، فهم يعبدونهم لمصلحة، لم يكن يذهب إلى الأصنام إلا الأتباع السذّج ، لكن الكبراء كانوا إذا ذهبوا إلى اللات والعزى يعلمون أن هؤلاء لا يضرون ولا ينفعون، ولا يقبضون، ولا يبسطون، ولكنهم كانوا يوهمون الناس أنهم مهتمون لأمر هذه الآلهة لأنها تحقق لهم مصالحهم، الموضوع موضوع مصالح، يستمرون في تعبيد الناس لهم بدلاً من أن يعبّدوهم لله تعالى، فهم كانوا يهتمون بهذا الأمر، ليس اهتماماً حقيقياً وإنما اهتماماً مزوراً، فلما يأتي من يذكّرهم بالله تعالى وفطرتهم تقول لهم: إن الله تعالى واحد لا شريك له يزعجهم ذلك، ويقض مضجعهم، **(إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ)** لو أن الله ذكر مع الآلهة ما عندهم مشكلة، المهم ألا يُدعى الله تعالى وحده، **(ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ)** اشمئزاز القلب قد يظهر على الوجه، إذا اشمأز الإنسان يظهر على وجهه علامات أو على حركاته أو جسده توحي أنه مشمئز نافر من هذا، لكن الله تعالى نسب الاشمئزاز هنا إلى القلوب، لأن الأصل هو القلب هو الذي يشمئز فتظهر الأعراض على الوجه، ومثله الخشوع:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ(16)

(سورة الحديد)

هل هناك آثار للخشوع على الوجه؟ ممكن تدمع العين، يغمض عينه أحياناً، تسكن جوارحه وهو يسمع كلام الله فلا يحرك ساكناً، آثار الخشوع ولكن الخشوع أين هو ؟ في القلب حتى الكلام الذي نتكلمه أصله في القلب وليس على اللسان، قال الشاعر:

الكلام في الفؤاد وليس على اللسان، وأحياناً الإنسان يقول: والله رأيت موقفاً جميلاً فما عدت أتكلم كلمة، اللغة لم تسعفني، الكلام في الفؤاد موجود ولكن ليس لديه كلمات تعبر عما في فؤاده.

فالأصل هو القلب، الاشمئزاز في القلب، قال **(ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ)** ما قال الذين يؤمنون بالله، **(إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ)** لأن الله تعالى دائماً في القرآن يقرن بين الإيمان به والإيمان بيوم الحساب، لأن الإيمان بالله يجعلك تستقيم على أمره، أما الإيمان باليوم الآخر فيمنعك من أن تظلم نملة، لا أقول إنساناً إنما يمنعك من ظلم نملة، يعني لا يمكن أن تدهسها من غير سبب هكذا من أجل أن تدهسها، لا يفعل ذلك المؤمن لأنه لا يريد أن يظلم، فالذين لا يؤمنون بالآخرة هم الذين يعتدون على الناس.

معنى الاستبشار:

الاستبشار هو ظهور السرور على بشرة الوجه

(وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) الاستبشار: هو ظهور السرور على بشرة الوجه فسمي استبشاراً، لأن آثار السرور من شدتها تظهر على بشرة وجهه، يُسرُّ ويظهر وجهه مستبشراً بالناس، متى استبشروا؟ **(وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)** آلهتهم المزعومة يستبشرون إذا ذكرت اللات والعزى لأن هؤلاء مصالحهم معهم، فيستبشرون لمصالحهم في الحقيقة، هذا المعنى العام، كيف نطبقه على واقعنا اليوم؟ اليوم إذا قال لك إنسان: أنا علمي، أو يقول لك: أنا واقعي، مسميات، أنا عقلاني، حسناً، إذا وقع حدث كوني؛ زلزال فقال قائل: هذا زلزال من صنع الله تعالى وحده، لا تشركوا بالله شيئاً الله تعالى هو الذي أراد وقوع هذا الزلزال لعله عاقب به أقواماً قد فسقوا عن أمر الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ(112)

(سورة النحل)

وهناك من ماتوا وهم مؤمنون لعل الله عز وجل يرفع درجتهم، وهناك من مات له قريب فصبر، والله يتولاه، الآن يفسر الزلزال تفسيراً إيمانياً، يقوم هذا العلماني العقلاني الواقعي ويشمئز، يقول له: أنا علمي أنا أؤمن بالعلم أخي، لا تتكلم لي عن هذه الغيبيات لماذا تدخلون الله في كل شيء؟ -والعياذ بالله- تكلم لي أنه حدث اضطراب في طبقة الارض، المنطقة منطقة زلزالية تقع على فالق زلزالي معروف، يريد أشياء تفسر الظواهر الكونية بعيداً عن التوحيد، هذا ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لما أصبحوا وقد نزلت الأمطار، فقال:

{ هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأمَّا من قال : مُطِرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال : مُطِرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب. }

(رواه البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني)

أمطرنا بفضل الله، النشرة الجوية حالة الطقس هي تنبؤ بما سيكون بناء على معطيات، لكن من الذي جاء بالمطر؟ الله فقط، هم ما علموا الغيب، هم أصبح عندهم أدوات تمكنهم من رؤية الغيوم وحركة الرياح قبل وصولها، فقالوا لك: ستصل غداً أو الأسبوع القادم حسب المعطيات العلمية، وقد تغير مسارها في اللحظة الأخيرة وهذا واقع، يقولون غداً مطر تستيقظ تجد الشمس ساطعة ولا يوجد مطر ولا أي شيء، يحدث، لكن توقع، وكلما تطور العلم ربما يصبح التوقع أكثر دقة لكن هو ليس غيباً، هو غيب عن الحواس، لكنه ليس غيباً عن التليسكوب، فالذي يقول: **(مُطِرنا بنوء كذا)** الكوكب الفلاني حسب النشرة الجوية السابقة عندهم **(فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب)**.

فإذاً التوحيد يقتضي أن أي شيء يحصل في الكون يحصل بأمر الله تعالى فلا ينبغي إذا ذكر الله وحده من يشمئز قلبه وينفر عند تفسير الوقائع تفسيراً إيمانياً موضوعياً منطلقاً من الحقائق القرآنية والسنة النبوية فليراجع إيمانه، نحن لا ننكر حقائق العلم، ولا حقائق الواقع، ولا حقائق العقل، لكن هذه بعد الإيمان بالله تعالى، أما أصل الظاهرة أصل وقوع الشيء هو وقوع بأمر الله تعالى، **(وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)**.

الاستجابة إلى التوحيد:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(46)

(سورة الزمر)

(قُلِ) يا محمد صلى الله عليه وسلم. **(قُلِ اللَّهُمَّ)** اللهم يعني يا الله، لكن في القرآن يوجد يا رب، مع الله غالباً لا ينادى يا الله، ينادى في القرآن اللهم، الميم المشددة بديلة عن ياء النداء وهذه خاصة بلفظ الجلالة فقط، وهذا نداء خاص بالله أن تقول اللهمّ، باللغة العربية إذا كان الشخص قريباً تقول له: أسامر، تناديه بالهمزة، وإذا كان بعيداً تقول له: يا سامر، وإذا كان بعيداً جداً تقول: أيا سامر، تضع الهمزة مع الياء.

مع ربنا جل جلاله يوجد طريقة للنداء، ربنا جل جلاله بعيد في علو مكانه جل جلاله، لكنه قريب إلينا أقرب من حبل الوريد، لأنه لما سألوا الله تعالى أقريب ربنا أم بعيد؟ نزل قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(186)

(سورة البقرة)

الله تعالى قريب منا فنداؤه له في اللغة العربية صيغة قرآنية: **(اللَّهُمَّ)** هذا نداء.

الله يفصل بيننا

(فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ): إذا وصلت مع قومك في قضية التوحيد إلى مفترق طرق، ما أرادوا أن يستجيبوا للتوحيد، إذاً الحل معهم: الله يحكم بيننا يوم القيامة، إذا وصلت مع أي إنسان في قضية أنت واثق من الحق والحق معك وأنت تناقشه وتحاوره بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وهو مُعرِض، حاولت، جهدت معه، بذلت الجهد، عرضت الأدلة، بيّنت النصوص، حاورته عقلاً، حاورته منطقاً، شرعاً... إلى آخره لكنه لم يستجب قل له: الله يفصل بيننا، هو امتنع عن الاستجابة لشهوة في قلبه، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ(50)

(سورة القصص)

(فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ) ما قال فاعلم أن عندهم حجة أخرى غير الحجة التي عندك، لا فالأمور واضحة **(فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ)** هذا الهوى اليوم يسمونه عقلاً، يقول لك: أنا أتبع العقل، بل هو هوى النفس، لكن يسميه عقلاً، أقصد العقل عندما يوضع في مقابل النص، وقد حدثتكم عن ذلك سابقاً، العقل ليس في مقابل النص، النص وحي الله وحي السماء يُفهم ويُعقل وتُستنبط الأحكام فقط، لكن لا يوضع العقل في مقابل النص، هذا النص لم يعجبني، عقلي لم يفهمه، عقلي لم يستوعبه، هذا نص إلهي، وحي، الوحي لا يقابله العقل أبداً، لا يناظره العقل، لا يوضعان نداً لند معاذ الله، فاليوم يتبع هواه لكن قد يسميه عقلاً قد يسميه تجديداً. لكن في النتيجة هو اتباع هوى، الذي لا يتبع منهج الله يتبع هوى نفسه، فهؤلاء لما تصل معهم لطريق مسدود وهم يريدون اتباع أهوائهم، فاتجه إلى الله تعالى وقل: أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، فالحكم لله، أي قضية لا تجد لها حلاً فدع الحكم فيها لخالق السماوات والأرض.

فاطر السماوات والأرض:

الفطر هو خلق الشيء على غير مثال سابق

(قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ): الفاطر من فَطَر الشيء إذا خلقه ابتداء من غير مثال سابق، في حياتنا مثلاً: إذا افترضنا افتراضاً أن أول سيارة صُنعت في الأرض ليس لها مثال سابق، بالمناسبة كل ما يسمى اختراعات البشر هي على مثال سابق، يعني لا يوجد شيء اخترعه البشر من لا شيء، يعني هم صنعوه كاملاً ليس تجميعاً لا يوجد مستحيل، لذلك يرى البعض أن كلمة اختراع في الأصل غير صحيحة، الصحيح هو الاكتشاف، هو لم يخترع شيئاً اكتشفه كان مغطّى فاكتشف، الكهرباء ليست اختراعاً، الكهرباء اكتشاف، موجودة لكن اكتشفوا أننا ممكن أن نمررها بأسلاك ونوصلها ونضيء فيها المصباح، أما الكهرباء فموجودة منذ خلق الله الأرض ومن عليها.

فالاكتشاف أصوب من الاختراع، فعلى كل حال لو افترضنا أن أول سيارة صنعت هكذا الآن أي سيارة تُصنع الآن ليست ابتداء خلق، فطر، لأن العجلات الأربع والهيكل العام يطور بها تطويراً، لكن الأصل موجود، فالفطر هو خلق الشيء على غير مثال سابق، ابتداءً.

ابن عباس رضي الله عنهما لما قرأ **(فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** قال كنت أبحث عن معناها، هو يعرف معناها فابن عباس حبر الأمة، ولكن يبحث عن معناها عند العرب، كيف يتكلم العرب بكلمة فطر، قال: حتى رأيت أعرابيين في بئر يتنازعان في بئر فقال الأول منهما: أنا من نظفتها، يعني أنا جئت إلى هذا المكان، ونظفت البئر، واستخرجت الماء، فقال له الأول: أنا فطرتها، كان هناك أرض فأنا حفرت وصنعت البئر، وبعد ذلك تركته، وأنت جئت واكتشفت البئر ونظفته، وأخرجت الماء، ولكن أنا من فطره، يعني أنا من أوجدته ابتداءً، فالفَطر أن توجد الشيء على غير مثال سابق، والله تعالى **(فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** لم يكن شيء، كان الله ولم يكن معه شيء، فهو الذي ابتدأ خلق هذه السماوات والأرض على غير مثال سابق، ومن عدم، ليس تجميعاً، ليس حديداً مع خشب، بل على غير مثال سابق ومن عدم.

(قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) طبعاً السماوات والأرض تعبير قرآني عن الكون كله، لأن العربي يسير، سماء تظله وأرض تُقلّه، فينظر إلى الأرض والسماء، هذا ما يتبادر إلى الذهن، فالتعبير القرآني السماوات والأرض.

الشهادة والغيب:

(عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) الله تعالى عالم الشهادة وعالم الغيب، **الشهادة**: ما تشاهده، **والغيب**: ما غاب عنك، هناك **عالمان**: عالم الشهادة وعالم الغيب، الآن هذه الغرفة التي نحن فيها هي لكل واحد منا عالم الشهادة، والشارع الآن بالنسبة لنا وما يجري فيه الآن غيب، من يسير في الشارع الآن هذه الغرفة بالنسبة له غيب، والشارع شهادة، فما تشاهده أو تدركه بحواسك قد لا تشاهده لكن تسمع صوته فهو شهادة، أو تشم ريحه فهو شهادة، أو تلمسه فهو شهادة، هذا ما تدركه بحواسك فهو شهادة، ما يغيب عنك غيب، الغيب الذي يغيب عن الإنسان يكون أحياناً غيباً مكانياً، يعني ليس غيباً بالمعنى المطلق، غيب مكان، الآن نحن الطريق غيب بالنسبة لنا، ولكن لو فتحنا النافذة لأصبح شهادة وهو شهادة بالنسبة لغيرنا، لكن الآن غيب، لكن غيب مكان، وهناك غيب زمان نحن لا نعلم ماذا جرى قبل مئة عام في هذا المكان، فهناك غيب في الزمان، وغيب في المكان، جل جلاله عالم الغيب والشهادة فهو يعلم ما غاب عنك ليس الغيب المكاني أو الزماني فقط، وإنما الأشياء التي غابت عنك مطلقاً، لا تستطيع الوصول إليها أبداً، يعني مثلاً: ما يجول في خاطرك الآن وأنت تنظر إلي هو غيب بالنسبة لي، لكن الله تعالى:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ **يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى(7)**

(سورة طه)

الغيب كله عند الله

الغيب كله عند الله، عظمة إيمانك وإيماني أن نؤمن بالغيب، أما عالم الشهادة فالإيمان به شيء مفروغ منه، ليس فيه أي بطولة، فمن يقول الآن: هذه طاولة وأنا مؤمن بهذه الطاولة نضحك عليه، لأن الطاولة تشاهدها بعينك فأين الإيمان بالموضوع؟ الإيمان أن تؤمن بالغيب، وكل ديننا إيمان بالغيب، بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كله غيب، غاب عنا ولا سبيل للوصول إليه، لكن نؤمن به لأن الله تعالى أعلمنا بوجوده، فالإيمان غيب، والله تعالى عالم الغيب والشهادة قال: **(أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)**

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ(47)

(سورة الزمر)

(وَلَوْ أَنَّ) لو حرف امتناع لامتناع، لولا: حرف امتناع لوجود، لولا الله لساءت حالة المريض، وُجد شفاء الله فلم تسُؤْ حالة المريض، لو جئتني لأكرمتك لكن لا أنت جئتني ولا أنا أكرمتك، حرف امتناع لامتناع امتنع مجيئك فامتنع إكرامي، لو درست لنجحت لكنك لم تدرس فلم تنجح، فحرف امتناع لامتناع امتنع فيها شيئان.

النجاة من عذاب يوم القيامة:

(وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا) لكن ليس لهم **(لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ)** إذاً لن يفتدوا، هو كلام افتراضي حتى يبين ندامتهم وحسرتهم يوم القيامة، هؤلاء الذين ظلموا، من الذين ظلموا في سياق الآيات؟ المشركون، الذين ظلموا أنفسهم لأنهم حرموها من الجنة، وظلموا أنفسهم في الدنيا لأنهم حرموها من القرب من الله تعالى، ظلموا أعظم الظلم أن تجعل لله نداً وهو خلقك جل جلاله، أعظم ظلم، أعظم من أي ظلم في الأرض أن تجعل لله نداً وهو الذي خلقك، قال تعالى على لسان لقمان:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ(13)

(سورة لقمان)

أعظم الظلم هو الشرك

أعظم الظلم هو الشرك، فهنا **(وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ)** أي الذين أشركوا **(مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا)** ماذا يوجد في الأرض؟ مايكروسوفت؟ نعم، ومرسيدس؟ نعم، وبي إم؟ الذي تريده، كل ما هنالك من شركات سيارات وماركات عالمية، ما في الأرض كله له.

(وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ) وهذا لن يكون لكن لو افترضنا عنده الأرض كلها، ومعها أرض ثانية فيها كل ما في الأرض.

(لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ) من شدة العذاب، ومن العذاب السيئ على النفس يتمنى أن يقدم الأرض كلها، ومثلها معها ليفتدي نفسه، ليفك نفسه من العذاب يفعلها، فتخيل حجم المأساة التي يقدم فيها الإنسان كل شيء، إنسان مريض ومرضه صعب، كان يبصر وذهب بصره -نسأل الله السلامة- ابتلاه الله تعالى وفقد بصره، ربما يقول لك: والله مستعد أن أدفع كل ما أملكه، ويكون يملك عشرات الشركات والسيارات والبيوت والعقارات، يقول لك: والله -وهو صادق- أنا أدفع كل ما أملك ليردّ الله إلي بصري أنا جاهز، هذا من شيء يسير، أول شيء يسير في حجم البلاء مهما اشتد، وثاني شيء في المدة، يعني هو عمره خمسون كم بقي له في هذه الدنيا ؟ ثلاثون سنة مثلاً؟ مستعد أن يدفع كل ما يملك من أجل أن يبصر في هذه الثلاثين سنة، فما بالك يوم القيامة يوم يرى الظالمون ما أعده الله لهم من سوء العذاب! مستعد أن يدفع الأرض كلها ومثلها من أجل أن يفتدي نفسه، ولكن:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ **وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ** وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ(48)

(سورة البقرة)

ليس هناك عدل: أي مكافئ يكافئ ليفك نفسه من العذاب.

(وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ) **(بَدَا)**: أي ظهر، **(وَبَدَا لَهُم)**: ظهر لهم، **(مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ)** أي لم يكن في حسابهم أبداً، لا يمكن أن يتخيل الإنسان ما أعده الله تعالى من نعيم لأهل الجنة، قبل أهل النار:

{ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالحين ما لا عَيْنٌ رأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَر على قَلب بَشَر }

(رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة)

وبالمقابل لم يحتسب الظالمون أن العذاب بهذا المقدار، وبهذا المستوى،**(وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ)**.

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ(48)

(سورة الزمر)

(وَحَاقَ بِهِم) أي نزل بهم.

نتيجة الاغترار بالله تعالى:

(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ) أي عاقبة السيئات التي كسبوها في الدنيا **(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ)** الإنسان أحياناً لما يفعل في الدنيا شيئاً ثم بعد عشرين سنة يكتشف أن هذا الخيار كان خطأً، يقول لك: الآن ظهرت لي الآثار السيئة لما فعلت، وليتني لم أفعل، بعد عشرين سنة اكتشفت، يقول لك: أنا أولادي كانوا صغاراً، كنت أعاملهم بعنف، بقسوة، ما أعطيتهم حناناً يوماً، ما ضممتهم إلى صدري يوماً، ما أشعرتهم بقربهم مني يوماً، بعد عشرين سنة شبّ أولاده قساة أيضاً، غير منتمين لوالدهم، لا يرغبون بالجلوس معه، يقول لك: الآن ظهر لي سيئات هذا الأمر، كنت في شبابي مشغولاً عنهم مع رفاقي، أقسو عليهم، أظن أن الرجولة في تلك القسوة، لكن تبين لي أنني خربت بيتي بيدي.

(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ) فهم كانوا يظنون الأمر بسيطاً، لكن ظهرت آثاره يوم القيامة، ندم شديد، لا ينفع الندم.

(وَحَاقَ بِهِم) أي نزل بهم **(مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ)** لما كانوا يقال لهم: عذاب الله، وسيأتي يوم وتعاقبون يقولون: لن يحاسبنا الله ولن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ولن ولن، يغترون بربهم الكريم، لكن **(حَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ)**.

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(49)

(سورة الزمر)

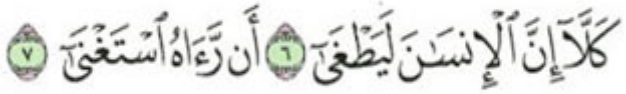

الإنسان في القرآن الكريم

الضر: نقص في المال، افتقر، مرض مرضاً مزعجاً، كان في الطائرة وبدأ الاضطراب وأصبح سقوط الطائرة قاب قوسين أو أدنى، كان في البحر وهبت عواصف شديدة والأمواج علت من كل مكان، **(فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ)** الأصل ألا يمسه الضر، الأصل هو الحياة الطبيعية، لكن قد يمسه الضر لحكمة من الله تعالى **(مَسَّ)** ما قال نزل به، مسّه مساً خفيفاً **(فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا)** الطائرة عندما تضطرب الحركة الملحد يقول: يا رب، الفطرة، يستيقظ نداء الفطرة، والله أنا من وقائع شخصية، أشخاص ليس لهم علاقة بالدين أبداً، يمرض تزوره تجد من انكساره ورجائه بالله الشيء الكثير، تستغرب أن هذا هو نفسه **(فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا)** لتفريج الضر، **(ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ)** أي أعطيناه **(نِعْمَةً مِّنَّا)** نعمة من الله عز وجل **(قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ)** كفور، كنود، كفور الإنسان إذا لم يعرف ربه، الإنسان في القرآن كثيراً ما يذمه الله:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ(6)

(سورة العلق)

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)

(سورة العصر)

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ **وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا(11)**

(سورة الإسراء)

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ **وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا(54)**

(سورة الكهف)

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ **وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا(28)**

(سورة النساء)

كثيراً ما يذمه الله تعالى لأنه لم يؤمن، ظلوماً جهولاً:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ **إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا(72)**

(سورة الأحزاب)

لكن لما يؤمن صار شخصاً آخر، حقق ذاته لما آمن، **(قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ)** يعني هذا الفضل بمالي وبطبيب مختص، وراجعت الطبيب والتزمت بالأدوية وشُفيت، أنا بخبرتي العظيمة استطعت أن أتّبّت الطائرة لننجو من المطبّات ونهبط، لا يقول: اللهُ عز وجل نجانا -والعياذ بالله- هذا من أشد أنواع الكفر أن ينسب الفضل إلى نفسه، وينسب السوء إلى ربه، **(قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ)** قال تعالى:

الفتنة والابتلاء:

(بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) هذا الذي حصل كان اختباراً، فتنة: أي اختبار، قال تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ(40)

(سورة طه)

ابتليناك، فتنت الذهب: أي امتحنته على النار لأعلم رديئه من جيده، فتنة، **(بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ)** اختبار، الذي حصل هو اختبار، أنت لما مرضت هذا المرض كان اختباراً لينظر الله أترضى وتشكر وتنسب النعمة للمنعم أم تنسب النعمة للطبيب ولذاتك؟ **(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)** لا يعلمون أنها فتنة، فينسبون الفضل لذاتهم ولا ينسبونه لخالقهم، النعمة من الله.

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ(50)

(سورة الزمر)

ألم يقل قارون:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ(78)

(سورة القصص)

هذه الآية إشارة إلى قارون وأمثال قارون، **(قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي)**

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ(81)

(سورة القصص)

كسب السيئات:

(فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ): أي لم يكن ما كسبوه مُغنياً لهم عن عذاب الله تعالى.

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ(51(

(سورة الزمر)

(فَأَصَابَهُمْ): من قبلهم **(سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا)**: الآثار السلبية السيئة لكسبهم، العقوبة:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(40(

(سورة الشورى)

فالعقوبة تسمى سيئة، لأنها جزاء السيئة، **(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا)** في القرآن الكريم الكسب يطلق على الأشياء الحسنة، والاكتساب على الأشياء السيئة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ۗ **(286)**

(سورة البقرة)

الإنسان يكتسب الإثم ويكسب الخير

لماذا؟ لأن الكسب سهل، لا يحتاج مجهوداً، الاكتساب يحتاج مجهوداً، الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، أنت جالس في البيت فدخلت عمتك، فأنت نظرت إليها وقمت وصافحتها، وربما قبلتها من جبينها وجلست معها، وسررت بها، وربما أيضاً تجلس وحدك ليس هناك أحد في الغرفة غيرك وغيرها لأنك لا تكتسب إثماً هنا، ما المشكلة؟ هذه عمتك، لو دخلت امرأة غريبة، وأنت عندك ضوابط اجتماعية أو دينية، وأردت أن تنظر إليها الآن تكتسب هذا الإثم بطرف عينك، تأخذ زاوية، تحاول أن تنظر من هنا أو من هنا، هذا اكتساب، لأن هناك سوءاً تفعله والعياذ بالله، فالإنسان يكتسب الإثم ويكسب الخير.

يبدو أن هؤلاء **(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا)** لأن الإنسان عندما يبالغ في السيئة تصبح سهلة عليه هينة، فيصبح الكسب عنده كالاكتساب، يقول لك: وماذا فعلنا؟ ليس لديه في مشكلة في كسب السيئات- والعياذ بالله-

(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ **وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ)** المشركين **(سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا)** هذا قانون، ربنا جل جلاله لم يستثنِ منه من كان قبلكم فلماذا يستثنيكم؟

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ (18)

(سورة المائدة)

جاءهم الجواب**(قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ)** لما يقول بعض المسلمين اليوم قولة حق أُريد بها باطل، أريد بها الإفلات والتفلت من منهج الله تعالى: نحن أمة محمد المرحومة لن يعذبنا الله تعالى، يقال لهم: وأنت سيصيبكم سيئات ما كسبتم، والنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة سيقول سحقاً سحقاً لمن بدل وغير، فلا تعتز ولا تغتر بشيء أكرمك الله تعالى به فتترك العمل، نحن أمة محمد ونسأل الله أن يشفع لنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لا نركن إلى ذلك فنترك العمل، وإلا أصبحنا كهذه الأمة التي قالوا: **(نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ)** لمّا يترك الإنسان المنهج يصبح بشراً كأي بشر، لمّا يتمسك بالمنهج له عندها أن يعتز أنه من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إعجاز القرآن الكريم:

القرآن معجز لأن العرب عجزوا عن الإتيان بمثله

(وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ): معجز: يعجزك: أي يجعلك عاجزاً عنه، يقال: هذا الطالب أعجزني، حاولت بكل طريقة أن يفهم الإعراب فلم يفهم، أعجزني، جعلني عاجزاً عن أن أفعل شيئاً جديداً معه، مازال ينصب الفاعل ويرفع المفعول به، أعجزني، والقرآن معجز وفيه إعجاز لأن العرب عجزوا عن الإتيان بمثله فأعجزهم، فهو معجز، والمعجزة: يعجز البشر عن الإتيان بمثلها مع التحدي، فهي معجزة، لماذا مع التحدي؟ إنسان لم تتحدَّه بشيء ثم قلت له: أنت عجزت أن تفعل، يقول لك: لو قلت لي لفعلت، ولكن أنا ما حضرت نفسي، لا أعلم، فالمعجزة مع التحدي:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)

(سورة الإسراء)

وجعل الجن معهم لأن العرب كانوا في الجاهلية إذا كان هناك شاعر فصيح جداً جداً جداً، وبليغ جداً جداً جداً يقولون: يعلمه الجن فيعتبرون الجن أفصح من الإنس، ويقولون هذا يذهب إلى وادي عبقر، واد قريب من مكة اسمه عبقر، فيقال: هذا يعلمه الجن في وادي عبقر، هكذا يعتقدون لأن الجن عندهم أفصح من الإنس، فالله تعالى قال: **(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)** فهو معجز، عجزوا عن الإتيان بمثله، مع التحدي لهم أن يأتوا بمثله، فهنا:

(وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ): بمعنى لن يستطيعوا أن يفلتوا من عقوبة الله، لن يعجزوا الله تعالى، حاشاه جل جلاله.

مفهوم الرزق:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(52)

(سورة الزمر)

الرزق ليس المال فحسب

الله تعالى يبسط الرزق: **البسط**: العطاء والله تعالى من أسمائه الباسط، يوسّع على عباده في الرزق، والرزق ليس المال فحسب، المال نوع من أنواع الرزق، الصحة رزق، الحلم رزق، الأمانة رزق من الله، الكرم رزق من الله، كل شيء تنتفع به فهو مما رزقك الله تعالى به، الولد رزق، الزوجة رزق، كله رزق، كل ما يأتيك من خير فهو رزق من الله ساقه الله تعالى إليك، بغض النظر عن كونه مالاً أو غير مال، وهناك رزق سلبي، هناك رزق إيجاب، ورزق سلب، كيف يكون الرزق سلبياً؟ هل يوجد رزق سلبي؟ نعم، إذا جاءك طفل سليم، هذا رزق سلبي لأنه لو كان عنده إشكال احتاج أن تضع آلاف الدنانير لعلاجه، معناها وفرت آلاف الدنانير لأنه سليم فأنت رُزقت، أحياناً يكون رجلان يعملان في مكان واحد، شخص راتبه ثلاثمئة وشخص راتبه ألف، ففي منظور الناس هذا رزقه أكثر من هذا هذا ألف وهذا ثلاثمائة، لكن هذا الذي رزقه ألف عنده ولد مريض، يحتاج كل شهر إلى ثلاثمائة دينار، من أجل العلاج، وعنده أقساط، اشترى عدة أشياء على الأقساط فيدفع ثلاثمئة أو أربعمئة فيبقى له مئتان، بينما الآخر عنده ثلاثمئة صافية، فليس لديه أقساط، ولا عنده ولد مريض وعافاه الله فليس لديه حوادث سيارات وما إلى ذلك، فمن رزقه أكثر؟ صاحب الثلاثمائة، فالرزق عملياً من الله عز وجل شيء محيّر فالإنسان لا يمد عينيه إلى ما متع الله به الناس الآخرين، لأن الله أعلم بحالك، وأعلم برزقك، وأعلم بما يصلحك وبما يفسدك، فاقتنع بما آتاك الله، نعم.

(يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) يقدر: أي يضيق، فهو القابض الباسط جل جلاله وهذا القبض والبسط من أسماء الله الحسنى متعلق بمن؟ بالمخلوقين، أسماء الله الحسنى تتعلق بالمخلوقين، إذا قلت: الله لطيف، يلطف بمن؟ بعباده، الله لطيف بعباده، هو قابض وباسط، يقبض ويبسط ماذا؟ أرزاق عباده لحكمة يعلمها هو.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) في بسطه وقدره جل جلاله، تقدير الرزق على البعض وبسطه للآخرين **(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** إذا كان هناك إيمان بالله تعالى فهذا القبض والبسط يكون آية دالة على عظمة الله للإنسان المؤمن، أما البعيد المنحرف فلا يرى آيات الله عز وجل، أما إذا كان في الأصل مؤمناً فيرى آيات الله تعالى في كل شي، ومنها أنه يقبض الرزق ويبسطه لبعض الناس، ثم يضيق على فلان ويوسع على فلان، ثم يوسع على من ضيق عليه ويضيق على من وسع عليه، وهكذا، فهذا من حكمته جل جلاله، والحمد لله رب العالمين.